الدبلوماسية العثمانية وأثرها في سياسة التغريب ١٧١٦- ١٨٣٩

علي جليل جاسم منصور

جامعة بابل/كلية التربية للعلوم الانسانية

hum.ali.j @uobabylon.edu.iq

الخلاصة

أدت السفارة العثمانية دوراً مهما لنقل مظاهر التمدن الغربي الى الدولة العثمانية إذ ظهرت بعض أفكار الإصلاح المتأثرة بالمدنية الغربية، وعلى الرغم من عدم شمولية تلك الافكار إلا أنها ساهمت بصورة وأخرى في بلورة مفاهيم إصلاحية جديدة طالت مؤسسات الدولة.

نشطت حركة السفارات العثمانية في الدول الأوروبية، فأعطت عمقاً وبعداً لمفهوم تغريب الدولة، وكان لتقارير السفراء العثمانيين دور مؤثر ساهم في نقل مظاهر المدنية الغربية إلى الدولة آنذاك.

ومما عمق فكرة الاتجاه للغرب والنقل عنه هو ان عدداً غير قليل من الساسة العثمانيين قد تأثروا بمظاهر المدنية الغربية ونمط الحياة الاجتماعية الاوربية التي هي من نتاج عصر النهضة، فحملوا افكاراً جديدة كانت تدور في فلك التغريب، وأبرزت أوجه الاختلاف في نمط الحياة الاجتماعية ومظاهر التمدن الغربي عن الدولة العثمانية، فوجهت الأنظار إلى مظهر التطور من دون جوهره وعمقت لدى رجال الدولة العثمانية فكرة الأخذ بمظاهر هذه المدنية الغربية .

الكلمات المفتاحية:التغريب،السفارة،الدبلوماسية،الدولة العثمانية،الدول الأوروبية،السلطان،التنظيمات، الإصلاحات .

Abstract

Ottoman embassy played an important role in the transfer of the manifestations of Western civilization to the Ottoman Empire, where some of the ideas of reform affected the Western civilized appeared, and despite the lack of comprehensiveness of those ideas unless they have contributed and another in the development of new reform concepts affected state institutions.

Active movement of the Ottoman embassies in European countries, starts by depth and dimension to the concept of the alienation of state, ambassadors, and played an influential role Ottomans reports contributed to the transfer of the manifestations of Western civilization to the state at the time.

It is the depth of the idea of the direction of the West and transport him is that quite a few politicians Ottomans have been affected by Western civilization manifestations and style of European social life, which is a product of the Renaissance, they took up new ideas were orbiting Westernization, highlighted the differences in the social lifestyle and manifestations of Western civilization Ottoman Empire, drew attention to the appearance of sophistication without substance and deepened the men of the Ottoman Empire the idea of taking these manifestations of Western civilization.

Keyword: Westernization, Embassy, Diplomacy, Ottoman Empire, European countries, Sultan, Regulations**,** Reforms.

المقدمة

أدت السفارات العثمانية في (عهد التنظيمات) دوراً بارزاً في حركة التغريب، التي انعكست آثارها على مؤسسات الدولة كلها وعلى الحياة السياسية والاقتصادية والفكرية والاجتماعية.

كان السفراء العثمانيون يتمتعون بنفوذ قوي داخل الدولة العثمانية وذلك لقربهم من السلطان ورجال الدولة بحكم مكانتهم مما ساعد ذلك على سرعة انتقال مفاهيم ومظاهر المدنية الغربية التي تضمنتها تقاريرهم إلى الدولة، إذ سارت الإصلاحات بوجه عام على أساس الاقتباس من النظم الغربية، ولكن ما أن أدخلت الإصلاحات في الدولة العثمانية على النمط الغربي حتى سحبت وراءها المؤثرات الأوربية الأخرى ، الأفكار، ونظم الحكم، وأساليب الحياة الأوروبية ولاسيما التي وجدت صدى كبيراً لدى بعض السلاطين ووزرائهم، فاندفعوا تجاه الغرب لينقلوا عنه ويستلهموا نظمه ومبادئه التي أدت إلى دفع عجلة التغريب في الدولة العثمانية، حتى تم إعلان التنظيمات الخيرية سنة ١٨٣٩ م ، نقل مبادئها من إنكلترا(مصطفى رشيد باشا) رجل الدولة الذي خطط للإصلاحات العثمانية على النسق الغربي عبر منصبه سفيرا مفوضا من قبل الدولة العثمانية في لندن وباريس ، وأيضا في أثناء شغله منصب وزير خارجية الدولة العثمانية ثم صدرها الأعظم .

وبناء على ما تقدم نجد أنَ السفارات العثمانية في الدول الاوربية، أعطت عمقاً وبعداً لمفهوم تغريب الدولة،لما لها من اثر كبير في حركة التغريب ، الأمر الذي يجدر معه القيام بعمل دراسة حول هذا الموضوع إذ إنَ هذه السفارات التي جاءت تقاريرها تطالب بضرورة الاتجاه للغرب للآخذ عنه بحجة إنقاذ الدولة من عثراتها وتدهورها .

التغـــريبُ ..المفهوم والواقع:أعطت المعاجم العربية التغريب معانٍ عديدة ومتنوعة ولم ينسجم هذا التنوع والتعدد في معاني التغريب الواردة في المعجمات العربية مع ما ورد في نظيراتها الأجنبية ، فقد أعطت الأخيرة معنىً مغايراً للتغريب انبثق من أختلاف الجذور اللغوية والتنوع الثقافي بين المجتمعات، ولاسيما أن أصل التغريب في اللغة يعود الى الفعل (غَرَّب) (To Westernize) أي جعْـل الشـرق تابعًـا للغـرب في الثقـافـة وأسـاليـب العيـش وطرائـق التفكيـر [١]، إذ يعرِّف معجم أوكسفـورد(Oxford) هذا الفعل على النحو الآتي (To Make an eastern country, person, etc more like one in the west, esp in ways of living and thinking, institutions, etc) أي جعّل الشرق تابعٌ للغرب في الثقافة وأساليب العيش، وطرائق التفكير[٢]، ويفيد معنى التغريب أمرين، الأول سيادة النزعة الغربية، أو الاحتذاء بالغرب والثاني هو الاستلاب أو الاغتراب، والأمران يتوافقان أو يتكاملان فيما بينهما في حالة الثقافة العربية التي تعاني التغريب، بما هو فك العرى الوثيقة بينها وبين تاريخها وتراثها، وبينها وبين وظائفها التاريخية والعضوية والنفسية[٣].

والتغريب هو تيار فكري كبير ذو ابعاد سياسية،واجتماعية،وثقافية، وفنية يرمي إلى صبغ حياة الأمم عامة،وذلك يهدف إلغاء شخصيتهم المستقلة وخصائصهم المنفردة وجعلهم أسرى التبعية الكاملة للحضارة الغربية، فقد خلق عقلية جديدة تعتمد على تصورات الغرب ومقاييسه ،ثم تحاكم فكر المجتمع الشرقي،ومن خلالها يهدف لفرض سيادة الحضارة الغربية وتسييدها على حضارات الامم، ولاسيما الحضارة الشرقية[٤].

أدى التغريب في الدولة العثمانية إلى تغير في المجتمع العثماني، فبدأت أولى خطوات التغريب الذي قصد تنظيم شؤون الدولة على وفق المنهج الغربي (الأوربي)،وتقدم بهذه الخطوة سياسيون، ومفكرون عثمانيون، ومصلحون في برامج إصلاحية جديدة، لمحاولة تجديد أنظمة الدولة على وفق أنظمة أوربية، وبدأت هذه المحاولات بالفعل عندما أخذت الدولة العثمانية في إرسال سفرائها الى الدول الأوربية بقصد التعرف على أحوال أوربا عن طريق التقارير لهؤلاء السفراء، وبالفعل بدأ العثمانيون يتطلعون بانبهار إلى الحضارة الغربية[٥].

العلاقات الدولية:تطورت العلاقات الدولية بتطور الحياة البشرية ونظمها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، إذ انها شملت المصاهرات والمعاهدات والاتفاقيات والبعثات، وشهدت تطورات وتحولات جذرية من حيث نطاق تفاعلاتها وتنوع قضاياها ومشاكلها [٦].

تهدف السياسة الخارجية لكل دولة عادة الى تحقيق أحد الأمرين : إما الاقناع وإما الإخضاع ، فإن كانت تبغي الإقناع فوسيلتها الى ذلك هي الدبلوماسية والدعاية ، ذلك أن الدبلوماسية هي وسيلة إقناع الحكام، أما الدعاية فهي سبيل إقناع الرأي العام ، وان لم يتحقق ذلك فيكون التوجه نحو الإخضاع باستعمال القوة[٧].

تتمثل أساليب العلاقات السياسية الدولية في: الدبلوماسية، والدعاية، والحرب، والمقصود بمفهوم الدبلوماسية او الدبلوماسي (Diplomatie- Diplomacy)التي تطلق اصطلاحا على علم علاقات الدول الخارجية وشؤونها الأجنبية،وهي فن التفاوض فيما بين الدول (L'art des negcoiation – Art of Negotiations) ، وبالتالي (فن التعامل الدولي)[٨].

تؤثر عوامل كثيرة ومتنوعة في العلاقات الدولية، ومن ابرزها الموقع الجغرافي ، إذ إنه يؤدي دورا تقليدياً في التأثير،والموارد الاولية، و العامل الاقتصادي الذي احتل موقعاً متقدماً في التأثير على العلاقات بين الدول [٩] ، ونجد في العامل العسكري دورا مهما ومؤثرا تؤديه القوة العسكرية في العلاقات الدولية، إذ إن بناء القوة العسكرية ضروري لكل دولة ، و للحفاظ على أمنها القومي، وتحمي مقدراتها وتحقق اهدافها، لأن امتلاك السلاح امر ضروري لكل دولة وبه تقاس قوتها وقدرتها لفرض نفسها على خريطة العلاقات الدولية بوصفها عنصرا فاعلا ومؤثرا [١٠].

كانت العلاقات الدبلوماسية بين الدولة العثمانية والدول الاوروبية في بداية الامر على نطاق ضيق،إذ إن السلطان يملي رغباته عليها ،وإذا لم تستجب هذه الدول اعلن الحرب عليها ، بعدها بدأت الدولة العثمانية تعقد معاهدات مع تلك الدول،ووافقت على إنشاء تمثيل دبلوماسي وقنصلي بينها وبين الدول الاوروبية عامة ،وشهدت الدولة العثمانية تبادل السفارات والقنصليات العامة لهذه الدول [١١].

السفارة العثمانية ونشأتها:بدأ العثمانيون منذ النصف الاول من القرن الرابع عشر الميلادي في تأسيس دولتهم وفتح مناطق في قلب أوروبا ،فحدث الصراع العثماني – الاوروبي ، مما أدى الى وجود رد فعل نتج عنه العلاقات والمعاهدات على الدولة العثمانية،فقامت كل من ايطاليا وميلانو والدولة العثمانية في تبادل السفراء، لما في ذلك من مصالح بينهما،ولم تعرف الدبلوماسية في الدولة العثمانية بهذا المصطلح منذُ نشأتها، إلا في القرن التاسع عشر ومن خلال ذلك حدث تطور في نظام السفارات الدبلوماسية [١٢]. وقد تمثلت العلاقات الدبلوماسية للدولة العثمانية الى جانب المصاهرات، بعقد المعاهدات وتبادل الهدايا والتمثيل الدبلوماسي مع بعض دول أوربا الشرقية [١٣]، لأن الدبلوماسية التي اتبعها السلاطين منذ قيام دولتهم أدت إلى توطيد العلاقات بينهم وبين دول عدة وكان من الطبيعي ان يكون لتلك الروابط الأثر الايجابي، حيث اعتمد نجاح الدبلوماسية العثمانية على القوة العسكرية والسياسية والاقتصادية التي كانت تمتلكها، إذ استطاعت عن طريقها أن تملي شروطها على الدول التي تخسر الحرب معها على وفق ما كانت تقتضيه مصلحتها، لأجل الحفاظ على حدودها وسلامة أراضيها من أي اعتداء خارجي [١٤].

وتم تعيين مجموعة من السفراء سواء كانت بصورة مؤقته أم طارئة،ومن اجل هذه الدوافع والاغراض الاخرى مثل تهنئة الحكام الاجانب بتوليهم الحكم او مباحثة امور الحرب والسلام او التصديق على معاهدة مبرمة بينهما،او تاييد الصداقة بعد المعاهدة او إزالة الخلافات الحدودية، او إرسال خطابات

الانتصارات التي حققتها الدولة العثمانية، وعند عودة هؤلاء السفراء فإنهم يزودون السلطان العثماني معلومات وافية بشأن هذه الدول [١٥].

كانت فينا [١٦] اول دولة مبادرة لإقامة علاقات الدبلوماسية حيث قام النمساويون باتفاق سلام مع السلطان محمد شلبي الاول[١٧] عام ١٤٠٨م وكذلك حكومة ميلانو قامت بارسال سفيرها الى أدرنة [١٨] في النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي،وفتحت فينا سفارة لها وهي أول سفارة دائمة في العاصمة إسطنبول،وبعدها فتحت أوروبا سفارات لها في الدولة العثمانية،ومنها بولندا عام ١٤٧٥م،وروسيا عام ١٤٩٧م، وفرنسا عام ١٥٢٥م ، ثم إنكلترا عام ١٥٨٣م ثم هولندا عام ١٦١٢م [١٩] .

وصلت تقارير الى الباب العالي توضح ضرورة ارسال بعثات علمية الى اوروبا للدراسة والاطلاع على تجارب المجتمعات الاوربية،مما أدى الى فتح نافذة رسمية بأعتماد سفارات عثمانية مهمة دائمية عام ١٧٩٣م في عواصم أوروبية أولها لندن في بلاط الملك جورج الثالث(١٧٣٨-١٨٢٠)[٢٠] ،وتوالت بعد ذلك السفارات الى البلاد الاوروبية،وقد زود السفراء بتعليمات لدراسة أنظمة المبعوثين اليها ومؤسساتها، وقد صاحبهم المترجمون الاغريق المعتادون على لغتهم، ومترجمون من شباب الاتراك مع تكليفهم بتعليم اللغة الانكليزية واتقانها، ودراسة اساليب المجتمع الغربي[٢١].

استمرت الدولة العثمانية في توثيق العلاقات الدبلوماسية مع الدول الاوروبية، فأكثرت تبادل السفراء مع هذه الدول، وتم ترسيخ هذه العلاقات الدبلوماسية إزاء المفاهيم السياسية، والدينية، والقانونية، وحددت الدولة العثمانية طبيعة العلاقة الدبلوماسية مع تلك الدول في حالة العداء أو الصداقة [٢٢] .

أهداف الدبلوماسية العثمانية :في عهد السلطان مصطفى الثالث (١٧٥٧- ١٧٧٤م) برزت أهمية العلاقات العثمانية مع الدول الاوروبية وكان الصدر الاعظم [٢٣]هو الذي يقوم باستقبال أعضاء البعثات الدبلوماسية، وعندما زادت العلاقات الخارجية واصبحت اكثر عمقاً واتساعاً أحيلت السياسة الخارجية الى الريس افندي [٢٤] الذي استعان بخبراء ومترجمين،وكان هؤلاء الخبراء يقومون بتزويده بالمعلومات السياسية والتاريخية والاجتماعية والدينية كافة عن الدول الاوروبية [٢٥].

اطلق الاوروبيون على السلطان سليم الثالث (١٧٦١- ١٨٠٧م) بأنه "المصلح الكبير" "وزعيم الأحرار" "وحليف أوروبا" وفي عهده أنتشر الخبراء الانكليز والفرنسيون في ارجاء الدولة العثمانية ، فهو اول سلطان يستحدث نظام السفارات العثمانية الدائمة "سفارة نامة " في الدول الاوروبية لكي يدرس هؤلاء السفراء جوانب التقدم الاوروبي وينقلوها الى الدولة العثمانية، وهو اول من استعمل مفردات السياسة الغربية ، وذكر السفير العثماني في باريس علي افندي في مذكراته الدبلوماسية [٢٦]، فضلا عن إعجاب السلطان سليم الثالث المبكر بالحضارة الفرنسية واتصالاته الوثيقة مع فرنسا،إلا أنه على الرغم من ذلك كانت اول سفارة عثمانية قد أنشأت في انكلترا عام ١٧٩٣م وتبعتها بعد ذلك فيينا وبرلين ثم باريس وغيرها من المدن الاوربية، وبدأوا في التطلع لتدريب القوات المسلحة على النمط الغربي ، فأمر السلطان سليم الثالث السفراء العثمانيين " **الانتباه الى اعداد دراسة تفصيلية عن نظم الإدارة الفرنسية وقوانينهم والنظام الاخلاقي ونظام المقاطعات وخاصة القوانين السرية للشؤون العسكرية، وبالاجمال جميع هذه الشؤون التي تنفع الدولة العثمانية، ولاتدع جميع الفريق الذي خدمه السفير يضيعون أوقاتهم، بل يغتنمون الليل والنهار في العلم واللغة والمعرفة والتعليم والعلوم وكل ماينفع في خدمة الدولة العثمانية**" [٢٧] ،وبذلك اعتمد السطان سليم الثالث أسلوبا جديدا في تعامله مع دول أوربا، واعتمدت السفارات الدائمة في العواصم الأوروبية لأول مرة في تاريخ الدولة العثمانية،

وقامت هذه السفارات بالتقريب بين الدولة العثمانية ودول أوربا، ونقلت رياح التغريب الى البلاد العثمانية ومثلت نوافذ الانفتاح التي بدأت تتسع مع مرور الزمن [٢٨] .

وكان لمترجمي السفارات مكانة خاصة إذ إن السفراء كانوا يحضرون مترجما معهم، وكان لهؤلاء رئيس يطلق عليه (مترجم باشا)،أما عدد المترجمين المستخدمين في قنصليات وسفارات الدول العظمى في القرن التاسع عشر الميلادي يتراوح بين مئتي مترجم [٢٩]،وكان السفراء العثمانيون يحضرون الاجتماعات ويقيمون الحفلات، ويواظبون على الحضور مع الوزراء، ويشاركون في الحفلات مع السفراء ولايستخفون، باللقاءات ويتعرفون على الادباء والصحفيين ومشاهير النقاد [٣٠].

وهناك العديد من دفاتر الحسابات الخاصة بالنفقات التي تنفق على السفراء الوافدين من الدول الشرقية والغربية، وكانت هذه النفقات بالنسبة للدولة العثمانية هي نفقات باهظة ومكلفة ، إلا أنها كانت تفكر أولاً وأخيراً في مصلحة الدولة بوصفها تصب في مصلحة إقامة العلاقات الودية مع هذه الدول ، وأدخلت بعض الأفكار والنظم المستوردة فكانت بداية التغريب للدولة العثمانية من خلال السفراء والسفارات المتبادلة بين الدولة العثمانية والدول الأوروبية[٣١].

تعد كتب السفارات التي كتبها هؤلاء السفراء وتناولوا فيها جهودهم والوقائع والتقارير التي أعدوها أنموذجا في غاية الأهمية، فقد كانوا يعدون مباحثاتهم ومناقشاتهم الموجودة في سفاراتهم والتي تلقي الضوء على تاريخ الدبلوماسية العثمانية سراً من اسرار الدولة، لذلك لايكتبونها ، وبدلا من ذلك فإنهم كانوا يتناولون ما شاهدوه على مدى الطريق في أثناء رحلتهم والأماكن التي كانوا يتجولون بها، والمراسيم التي كانوا يشاركون فيها وغير ذلك [٣٢].

افرز إنشاء السفارات والوجود الدائم للدبلوماسيين في بلدان اوروبا طرازا جديدا من رجال السياسة في الدولة العثمانية ، فقد تعمق هؤلاء في العلاقات الدبلوماسية في مهنتهم ، فضلا عن تعلمهم مبادئ نظام الدولة والمجتمع في الدول الغربية البرجوازية [٣٣] ، والاقتصادية، والثقافية، والايدلوجيا [٣٤] ، فأدخلت عدداً من المعايير البرجوازية الى نظام الدولة والحياة الاجتماعية والاقتصادية وتشريعات البلاد [٣٥]، وتعلموا اللغات الاجنبية وتعرفوا على الفلسفات الغربية المادية والوضعية، ورصدوا العالم المحيط بهم واجتهدوا في فهم النظم السياسية والادارية الاوروبية، واستطاعوا بمشاهدتهم واستنتاجاتهم دفع حركة الاصلاح في اتجاه التغريب،وشملت الإصلاحات العثمانية الكثير من المؤسسات الإدارية والعسكرية والسياسية والاقتصادية، وعملت الدولة على اقتباس بعض الأنظمة والقوانين الغربية التي اكتسبت وضعها القانوني بإعلان التنظيمات العثمانية عام ١٨٣٩م[٣٦].

لا شك أَن مبادئ الدين الإسلامي كانت تشكل أهمية كبيرة ضمن القواعد والأصول التي ترسم الدبلوماسية، فمنذ نشأة الدولة العثمانية وهي تنظر الى العلاقات الخارجية من منظورين الأول دار السلم والثاني دار الحرب [٣٧].

عقدت الدولة العثمانية عام ١٧٩٠م تحالفاً مع بروسيا،وقد اعترض على ذلك التحالف العلماء بحجة إنه يخالف الشريعة الاسلامية، مما اضطر شيخ الإسلام "حميدي زاده مصطفى أفندي" الى إصدار فتواه بجواز هذا التحالف، وذكر أن التحالف مع الدولة النصرانية جائز شرعاً، وهذا يعني أن المعاملة بالمثل والتعامل المتبادل يعد من أهم قواعد الدبلوماسية[٣٨].

السفراء العثمانيون الدور والوظيفة:من أهم الوسائل التي أتاحت للعثمانيين التعرف على مظاهر الحضارة الغربية هي السفارات العثمانية، ففي القرن السادس عشر الميلادي وأوائل القرن السابع عشر الميلادي قام عدد كبير من المبعوثين بزيارات إلى أوروبا ، ومع بداية القرن الثامن عشر الميلادي بدأ السفراء العثمانيون في كتابة التقارير التفصيلية عن المهام المناطة بهم، وكانت تسمى هذه التقارير (سفرنامة) والتي اصبحت فيما بعد من المصادر المهمة للتاريخ العثماني [٣٩].

من الدبلوماسيين العثمانيين الذين شغلوا منصب السفارة في باريس هو أحمد رفيق باشا، وهو سياسي ودبلوماسي،وكاتب مسرحي،ومترجم عثماني من أصول يونانية. تولى عدة مناصب رفيعة في الدولة العثمانية، شغل منصب سفير بلاده في فرنسا،وأصبح وزيرا للأوقاف ، ثم رئيسا لأول مجلس عثماني عام ١٨٧٦م ، وهو لغوي معروف وضع أ ول معجم عثماني باللهجة العثمانية، وترجم أعمال (فولتير وشكسبير) إلى العثمانية [٤٠] ،وأعطاه الداماد [٤١] إبراهيم باشا الصدر الأعظم عام ١٧١٦ م[٤٢] تقريرا دوّن فيه يوميات رحلته ووقائعها في أول نص عثماني رسمي سلطاني، مسجلاً مشاهداته في الديار الفرنسية، واصفاً عمرانها والحياة اليومية فيها، ولاسيما في البلاط الملكي للويس الخامس عشر، حينما كان لا يزال في الحادية عشرة من عمره، ويقوم عمه (دوق أورليان) وصيّاً على عرشه. استغرق السفير في وصف عمارة قصور طبقة النبلاء الفرنسية، وطبيعة حياة هذه الطبقة، شعائرها وحفلاتها واستقبالاتها الملكية،وذكر فيه أنه لابد له أن يطلع على سائر المعارف الفرنسية ليتم تنفيذها في الدولة العثمانية ومحاولة تطبيقها[٤٣].

عندما كان (يكرمى سكيز) أفندي في باريس كانت لديه تعليمات تتمثل في الاطلاع على وسائل العمران والعمل على تطبيقها وتطويرها بطريقة جيدة ، وكانت المطبعة هي إحدى وسائل العمران الذي قام بتأسيس إجراءاتها لإنشائها في إستانبول،التي اصبحت أول مطبعة في الدولة العثمانية، فلم يكن افتتاح المطبعة بالأمر السهل،فقد استلزم سلسلة من التحضيرات لإقناع المسؤولين، ومن بينهم السلطان العثماني الذي رفض ذلك،استجابة لرفض السلطة الدينية والعلماء ، بادخال الطباعة الى استانبول، إلا بعد سنوات، فعهد بذلك الى ابرهيم متفرقه، ذي الأصول المسيحية، قبل اعتناقه الإسلام ودخوله في الإدارة العثمانية[٤٤].

أدرك الصدر الأعظم (داماد إبراهيم باشا) أهمية المعرفة الأوروبية بالنسبة للعثمانيين، لذلك عين مبعوثا إلى باريس ومعه تعليمات لدراسة النظم الفرنسية في الحكومة والتعليم وهناك اتصال منظم بينهم وبين (ماركوس دي تاك– Marcos de Aotak) ١٧١٦– ١٧٢٤م،وكتب تقريرا يصلح تطبيقه داخل الدولة العثمانية [٤٥] .

كتب (إبراهيم متفرقه) عام ١٧٢٦م [٤٦] رسالة بعنوان "وسيلة الطباعة" وجهها إلى الصدر الأعظم وشيخ الإسلام حول ضرورة إدخال هذا الفن إلى البلاد العثمانية ولم يصدر الفرمان بأفتتاح المطبعة إلا بعد موافقة شيخ الإسلام (عبد الله افندي) عام ١٧٢٧م الذي اشترط عدم طباعة الكتب الدينية بكل فروعها ، وعين شخصين لغرض الرقابة على منشورات المطبعة ، وأما الشخص الذي عين لإدارة أعمال المطبعة فكان (إبراهيم متفرقه) نفسه الذي كان شخصية متعددة المواهب، وادى دوراً مهماً في النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادي ولاسيما في مجال الدعوة إلى التحديث والانفتاح على أوروبا [٤٧].

ويذكر التبادل الدبلوماسي الذي قام به السفير الروسي (ريبك - Repk) والسفير العثماني (عبد الكريم باشا)[٤٨] بعد عقد معاهدة كوجك كينارجي عام ١٧٧٤ م [٤٩]، إذ إن هذين السفيرين ناقشا موضوعات مهمة عدة ، تتمثل في تقديم الهدايا ، ومستوى السفير ووفده، وعدد الأشخاص، واستقبال السفراء بالقصر ،

وأماكن الالتقاء بهم، والكثير من الموضوعات الأخرى المهمة بالنسبة للدبلوماسية العثمانية والروسية، وكان له أثر كبير بالتقريب بين موسكو وإسطنبول [٥٠] .

يظهر الدور الكبير الذي قام به السفراء العثمانيون خارج الدولة وداخلها، وفي المدة التي اعتلى السلطان سليم الثالث الحكم فيها، زادت مسألة التقارب مع الغرب ، وتم الإسراع بمساعي التغريب في كل المجالات،ولاسيما العسكري، وقد أرسل السلطان سليم الثالث سفيرا خاصا إلى أوروبا عام ١٧٩١ م هو (أبو بكر راتب أفندي) لإعداد دراسة مباشرة في الدول الأوروبية ولديه تعليمات لجمع معلومات حول دول أوروبا[٥١]،وطلب منه السلطان أن يقوم بإرسال تقرير مفصل لإنجازات أوروبا في المسائل العسكرية والمدنية ووصف العلاقات بين الشعب وبين الدولة في أوروبا ، فرد عليه (راتب أفندي) بقوله: "**في الدول الأوروبية، فإن المواطن مهما علت منزلته الاجتماعية فهو يطيع القوانين والنظم والأوامر الملكية ، ويدفع الضرائب بانتظام وفي مواعيدها، ولا يوجد زي خاص مميز تستطيع أن تراه بعينك فالملك ، والقادة ،وموظف الدولة، وأي شخص يرتدي مايريد، ويأتي ويذهب كما يريد، ويركب جواده أو لا يركبه كما يريد، ولا أحد له الحق في التدخل**"[٥٢]، كذلك تأثر (ابو بكر راتب أفندي) بطريقة تنظيم الحكومة البروسية ومدى جدارة جهازها، فكتب إلى السلطان بضرورة القيام بمجموعة من الإصلاحات الإدارية وتطبيقها في الدولة لتساعد على رقيها ومواكبتها للدول الأوروبية [٥٣].

أرسلت تقارير مهمة إلى السلطان سليم الثالث حينذاك منها، التقرير الذي أرسله سفير الدولة العثمانية في برلين وهو (عظمي أفندي) الذي وصف فيه مشاهداته، لأوجه التقدم هناك في عامين من إقامته (١٧٩٠-١٧٩٢) [٥٤].

أُرسلت الحكومة العثمانية تعليمات إلى سفيرها في فيينا عام ١٧٩٢م للوقوف على التطور في المؤسسات العسكرية والمدنية وكذلك التنظيمات الادارية الاوروبية [٥٥]،فكتب لها قائلاً: " **في الدول الأوروبية القوانين والمؤسسات والتشريعات والضرائب التي توضع من قبل ملوكهم تخضع للرقابة من قبل الناس على اختلاف طبقاتهم ، فطالما أن الناس تدفع ما يتوجب عليها من ضرائب في الوقت المحدد فلا يحق للملك أو الضباط الموظفين أن يتدخلوا في شؤونهم ورغباتهم فالفرد في هذه الدولة يقول ما يريد وما يشاء من دون أي قيود في مأكله ومشربه أو ذهابه وإيابه**" [٥٦].

من السفارات المهمة إلى باريس أيضا هي سفارة (سيد علي أفندي) ١٧٩٨ م، وهو عديل (عثمان أفندي) الدفتر دار، أحد كبار رجال الدولة العثمانية في ذلك الوقت وهو من الموره باليونان ، وأشار في تقرير الى أن مراسم الاستقبال اتسمت بالحفاوة والترحيب والازدحام الشديد في الشوارع، ثم انتقل إلى وصف مطول لباريس والأماكن المحيطة بها ، والجمال المعماري والقلاع والحدائق والغابات والانهار التي اهتمت بالنواحي المعمارية والجمالية جميعها [٥٧] .

حاول سيد علي أفندي اجراء مفاوضات سلام مع فرنسا باسم الدولة العثمانية إلا أن هذه المفاوضات أخفقت على اثر الحملة الفرنسية على مصر ، ورأى السلطان العثماني أنه لابد من توظيف رجلا آخر من أجل مفاوضات السلام [٥٨] أرسلت الدولة العثمانية محمد سعيد غالب أفندي [٥٩] إلى باريس في مهمة طارئة ، وبعد مجيء هذا السفير غادر سعيد علي أفندي فرنسا في السادس عشر من تموز عام ١٨٠٢ م للعودة إلى إستانبول [٦٠] .

وقام محمد جلبي أفندي بجهود كبيرة في هذا الإطار بفرنسا عندما ذكر في تقريره "**إنه سوف يطلع على سائر المعارف الفرنسية والعلمانية ليتم تنفيذها بالدولة العثمانية**"، وقد استطاع أن يقوم بهذه الجهود،إلا

انه اعطى المسيرة لابنه سعيد أفندي الذي ذهب إلى فرنسا وتحديدا باريس وبدأ بإجراءات اتصاله بالغرب [٦١].

عند وصول السفير العثماني (محمد سعيد غالب أفندي ١٨٠٣-١٨٠٦ م) إلى باريس تم الاقتراح عليه من قبل الصدر الاعظم الذهاب لزيارة (تيلارند - Tellarnd) وزير الخارجية الفرنسي على الفور، إلا أن محمد سعيد غالب أفندي رفض هذا الاقتراح بسبب الديون المتعلقة بتجار فرنسا ، وبعد أيام عدة قام محمد سعيد غالب أفندي بزيارة وزير الخارجية الفرنسي، وقدم له وثيقة اعتماده بأنه سفير دائم بباريس، وبدأ السفير أعماله السياسية في باريس،بالتعارف وطلب في اللقاء من الوزير سداد التجار الفرنسيين ثلث الرسوم الجمركية من أجل دخولهم للأراضي العثمانية، وظلت هذه المسألة في نقاش وجدال، وبعد ثلاث سنوات تم التوصل إلى حل بينهما، وطلب بونابرت من السفير الكتابة للصدر الأعظم يقترح عليه تحالف فرنسا مع السلطان سليم الثالث،ونقل السفير رغبة بونابرت إلى السلطان،وجاء الرد إلى باريس عام ١٨٠٤ م بعدم توقيع معاهدة سلام مع فرنسا،مما أغضب نابليون على عدم التحالف، ومما زاد هذا التوتر أيضا أن نابليون عندما أخذ عام ١٨٠٤ م لقب الإمبراطور لم يعترف السلطان العثماني بهذا اللقب، لأنه كان ينتظر مع بقية دول أوروبا العظمى الاعتراف بهذا اللقب إلا أن بريطانيا وروسيا لم يكن لديها نوايا لهذا الاعتراف [٦٢] .

عاصرت سفارة (محمد سعيد غالب أفندي) زمن الإمبراطور نابليون الذي لم يرقه إخفاقه في مصر، فضلا عن عدم اعتراف السفير العثماني بلقب الإمبراطور مما زاده غضبا ، فناصب العداء للدولة العثمانية ، وأعرض عن محمد سعيد غالب أفندي ، وعند إعلانه إمبراطورا أخذ بالاستخفاف من محمد سعيد غالب أفندي، وطلب تعيين (محب أفندي) بدلا عنه الذي كان في درجة (نشانجي)[٦٣] ، وعليه فإن إقامة (محمد سعيد غالب أفندي) أكثر من ثلاث سنوات في باريس ظلت متوارية سياسيا إلى حد ما ، إلا أن مكانته السياسية زادت في تلك المدة[٦٤] .

استطاع (محمد سعيد غالب أفندي) من طبع كتب عدة وترجمها، منها (سفارة نامه فرانسا) أو كتاب (السفارة إلى فرنسا) هو أول نص يكتبه السفير العثماني عن رحلته إلى باريس في مهمة رسمية عام ١٧٢٠م سلم خلالها رسائل السلطان العثماني إلى ملك فرنسا وامتدت أشهر عدة، والف (إبراهيم باشا) كتابا اسماه (أصول الحكم في نظام الأمم) وفكرة الكتاب أنه قدمها بفكرة دبلوماسية رفعها إلى الصدر الأعظم (إبراهيم باشا) الذي أمر بطبعه، وترجم الكتاب إلى الفرنسية وصدر تحت عنوان (البحث عن التكيتك)، وأدخل فيه الكثير من فنون الغرب وأفكاره إلى الدولة العثمانية ، وهذا بالتالي ادى الى ظهور مجموعة جديدة ذات اتجاه علماني تبنت الاتجاهات الجديدة داخل الدولة العثمانية [٦٥] .

من ابرز الدبلوماسيين العثمانيين الذين شغلوا منصب السفارة في باريس هو (مصطفى رشيد باشا) ، الذي كان يتردد بين الولايات مع عديله سيد علي باشا [٦٦] ، تم تعيين (مصطفى رشيد باشا) منصب المهدار أو الخاتم، وفي عام ١٨٢١ م، دخل إلى قلم خطابات الصدارة،واستطاع أن ينال التقدير والاحترام لدى الرؤساء بسرعة، وكان يتمتع بحماية خاصة ومكانة من قبل المستشار محمد سعيد أفندي، وأعجب السلطان محمود الثاني بالقوائم الواردة من الجيش ، وسأل محمد سعيد أفندي عن كاتبها فقال:(**إنه مصطفى رشيد باشا،. فأوصى به السلطان؛ وبذلك حفر اسمه في ذاكرة السلطان العثماني)** [٦٧].

أعجب السلطان (محمود الثاني) بمصطفى رشيد باشا ودهائه ، وترقى في سن شبابه مناصب سياسية عدة،فأصبح وزيرا للخارجية وهو المعد لأسس التنظيمات، ولمصطفى رشيد باشا نجاحات كثيرة ، وكان هذا النجاح يتمثل في عمله مع فريق متميز، وكان لديه قدرة كبيرة في تمييز الأمور ، فهو مجازف لا يتردد في

إرسال مسؤولين وموظفين شباب لتحمل مسؤوليات خاصة بالدولة ، لأن هؤلاء الشباب تربوا بين يديه ، ومن بين هذه الأسماء الكبرى (علي باشا – فؤاد باشا – جودت باشا – أحمد وفيق باشا) ، وسواهم من الأسماء ، إلا أنهم لم يحققوا نجاحات في ظل ترحيب وتشجيع ، بل نجحوا في ظل تنافس وغيره وافتراءات وانتقادات ظالمة [٦٨] .

اجرى مصطفى رشيد باشا عام ١٨٣٤م مباحثات مع مترينخ رئيس وزراء النمسا في فيينا واجتهد لكسب دعم وتأييد النمسا في مسألة مصر والجزائر، وقام بإجراءات لقلب الرأي العام ضد محمد علي باشا والي مصر، وكتب مصطفى رشيد باشا في أحد تقاريره عندما كان سفيرا بباريس عام ١٨٣٤ م ، أنه اتخذ موقف المدافع أبان المباحثات التي جرت مع رجال الدولة الفرنسيين عن منهج حكومته في الخلاف الذي نشأ بينها وبين مصر منذ فترة قريبة ، وهنا وجه اللوم إلى سفير فرنسا لموقفها المتقاعس في اللحظة الحاسمة عندما كانت الدولة العثمانية منشغلة بتسوية نزاعاتها مع مصر ، وجاء ذلك في معرض حديثه عن قبول الدولة العثمانية للمساعدات الروسية ضد محمد علي باشا والي مصر [٦٩] .

ثم عاد إلى إستانبول في اذار عام ١٨٣٥ م واعيد تعيينه سفيراً دائماً في باريس عام ١٨٣٦ م، وتلقى أمرا من الباب العالي بتبادل موقعه مع نوري أفندي سفير الدولة العثمانية لدى لندن، وفي الوقت نفسه أنعم على مصطفى رشيد باشا بلقب مستشار الشؤون الخارجية، وتم تبادل مواقع السفراء على هذا النحو، لأن آمالا كبيرة كانت معقودة على مصطفى رشيد بوصفه دبلوماسيا محنكا لتحقيق رغبة السلطان في الوصول إلى حلول حاسمة للمشكلات الدبلوماسية التي كانت تواجه الباب العالي ، وأعلنت الحكومة العثمانية عن تبادل السفيرين بحجة أن المناخ في إنجلترا غير ملائم لصحة نوري أفندي [٧٠] .

بعدها تم تعينه سفيراً في لندن، واستطاع كسب ودعم وتأييد بريطانيا التي كانت في ذلك الوقت تمثل قوة عسكرية واقتصادية عظمى، وعلى الرغم من حياد بريطانيا التام بشأن احتلال الجزائر ، إلا أن مصطفى رشيد باشا نجح في أن تقف إنكلترا بجانب الدولة العثمانية لمواجهة أطماع محمد علي باشا ، فكان استصدار منشور كلخانة الثمن الذي حصلت عليه بريطانيا والدول الأوروبية من السلطان العثماني مقابل تسوية النزاع بينه وبين والي مصر محمد علي باشا الذي كان يريد الاستقلال والانفصال عن الدولة [٧١]،وهذه المبادرة للتحالف مع الإنجليز لم تكن من السلطان العثماني ، بل كانت من مصطفى رشيد باشا ، وعلى الفور أرسل السلطان محمود الثاني في طلب مصطفى رشيد باشا ، وأهانه على هذا التصرف وأمر بإعدامه ، إلا أن مصطفى رشيد باشا تأخر في عودته إلى إستانبول بحجة أنه مريض ، وفي تلك الأثناء توفي السلطان محمود الثاني،وعلم مصطفى رشيد باشا بأن الخطر قد زال ، ثم عاد مرة أخرى إلى إستانبول ، وعمل على حل المشكلات الخارجية كافة من خلال الإصلاحات الغربية والتأثير على السلطان عبد المجيد الأول [٧٢] .

استطاعت الدولة العثمانية التعرف على اهداف ودوافع السفارات الوافدة من خلال بعض التقارير التي كانت ترفع الى السلاطين العثمانيين، ففي نهاية عام ١٨٣٧م رفع مصطفى رشيد باشا تقريرا الى السلطان يوضح فيه ضرورة فتح سفارات في برلين وبطرسبورج بجانب السفارات الموجودة في باريس ولندن،ورأى هذه السفارات تزود الباب العالي بالمعلومات الحديثة حول التقلبات والتغيرات كلها في الاساليب السياسية للدول الاوروبية ، واشار أنه لابد حتى في الدول الصغيرة مثل بافاريا [٧٣] وفورتمبيرج تكون لديهم سفارات، ويذكر المؤرخ احمد جودت باشا في مذكراته " **أن مصطفى رشيد هو مؤسس النظام الدبلوماسي الجديد في الدولة العثمانية، وكان طريقة نحو قمم العمل الوظيفي طريقا تصاعديا، فقد بدأ بعمله موظفا صغيرا في إدارة الباب العالي، وبعدها تواجد في الدول الاوروبية بصفته سفيرا، وساعدت نجاحاته في مجال**

وظيفته في تحقيقه لعدد من الإصلاحات،وكانت انعكاسا لمطالب زمنه،وذاع صيته باعتباره إصلاحيا وواضعا لبنود خط شريف كلخانة عام ١٨٣٩م فضلا عن أنه كان أكثر الدبلوماسيين العثمانيين في عصره موهبة وذكاء " (٧٤) .

وذكر عنه دبلوماسي فرنسي عاش في زمنه" **أن هذا الدبلوماسي ووصوله الى باريس ، قد خلق ردود أفعال كبيرة**" إذ إنه أول سفير عثماني يأتي الى فرنسا بعد محمد سعيد غالب أفندي عام ١٨٠٢م ، واختلط بالفرنسيين كثيرا،وأصبح الجميع في صفه ، وبدأ الفرنسيون ينظرون إليه بإعجاب مما آثار إعجابهم، وكان يقيم المآدب والموائد لهم ، ولايترك أي اجتماع ولا يتوانى عن زيارة الوزراء ، وله علاقات جيدة مع الوزراء الدبلوماسيين الغربيين كافة، ولقد تعرف على الحياة الاجتماعية لفرنسا ، وايضا الحياة الفنية والأدبية وحاول نقل كل هذه الحضارة الفرنسية الى الدولة العثمانية، وهناك مصادر أخرى تشير الى أن مصطفى رشيد باشا كان مولعاً بفرنسا، فكتب أشعارا باللغة الفرنسية مما يدل على شدة ولعه بالثقافة الفرنسية(٧٥) .

كان مصطفى رشيد باشا سفيرا للدولة العثمانية في لندن وباريس ، وفي آخر عهد السلطان محمود الثاني تعلم اللغة الفرنسية وأبدى من خلال ما قرأه بالفرنسية سعيه لمسيرة الإصلاح على النمط الغربي ، وكان أول عمل يقوم به في هذا السبيل والذي ساعده عليه هو صغر سن السلطان الجديد عبد المجيد الاول، إذ إنه لم يكن يتعدى السادسة عشرة عند توليه السلطة ، فاصدر (خط شريف كُلخانه) الذي يعد بمثابة دستور ينظم خطوات الإصلاح المنشود، فلم يكن هذا الدستور مستمدا من الشريعة الإسلامية ، بل سار على نهج الدساتير الاوروبية والفرنسية خاصة،واستطاع مصطفى رشيد باشا إقناع السلطان بمنهجه الإصلاحي، واستحوذ على رضا السلطان ودعمه، وأقام حفلا وأحاطه بالقوات العسكرية ، وقدم مصطفى رشيد باشا هذا الخط على أنه من السلطان،ثم قدمه للصدر الأعظم بحضور شيخ الإسلام، فأقروه ، ومن أبرز ما تضمنه هو المساواة بين جميع رعايا الدولة ، وتوفير الإخاء بين الجميع على أسس غربية لا إسلامية، وهو أمر عده بعض الأوروبيين بمثابة " **العهد الأعظم** " بالنسبة للعثمانيين (٧٦) .

يتبين لنا إن تأثير الفرمان الهمايوني – فرمان كُلخانه وفرمان التنظيمات الخيرية اللذان تم إعدادها تحت رئاسة وفكر وتأثير ونفوذ السفير الإنجليزي (جاينج– Jaenning) بصفة خاصة، وعرض اللورد (ستانفورد– Stanford)مذكرات جاينج، وكان هناك أثر لقلم اللورد في كل سطر من سطور خط الإصلاحات، ولكن هؤلاء كلهم اجتهدوا في إجبار الباب العالي على قبول هذه البنود في هذا الفرمان (٧٧).

استطاع مصطفى رشيد باشا كسب ود الدول الأوروبية في ثلاث سنوات قضاها في باريس ولندن، وأصبح لديه تجارب عدة ، فأصبح مستشارا للخارجية في الثالث من حزيران عام ١٨٣٧ م ، وقام بدور كبير في توقيع معاهدة التجارة(بلطة ليمان) (٧٨) التي تضع نصب عينها إلغاء الامتيازات في السادس عشر من آب عام ١٨٣٨ م وبسبب المباحثات المتواصلة بشأن الإصلاح الخاص ببنية الدولة العثمانية ، والقلق الذي شعر به السلطان إزاء المعارضة التي تشكلت ضده أعلن السلطان العثماني أنه هو الذي قام بتعيينه(٧٩) .

ظهرت في أثناء سفارته مسائل أخرى غير المسألة المصرية إلا أنه اجتهد في حل هذه المشاكل والمسائل وتنظيمها بشكل جيد ، وعلى رأسها مسألة جبل لبنان ، ومنذ أن تم تعيينه سفيرا بباريس ظل في هذه السفارة، وتبين أنه يتبع التعليمات الدبلوماسية التي تصدرها حكومة السلطان ،فضلا عن أنه كان مطلعا على المشكلات الداخلية والخارجية للدولة العثمانية ، وكل ما يخص الشؤون الأوروبية، ولم يكن بحاجة اطلاقا لأية تعليمات مفصلة، وكان التوجه الرئيس لنشاطه مجددا ببذل جهده بوصفه سفيرا لبعث وتقوية التحالف الإنكليزي الفرنسي (٨٠) .

عاد مصطفى رشيد باشا بعد ذلك إلى إستانبول وتم تعيينه على أدرنة ، وبعدها تولى منصب وزير الخارجية عام ١٨٤٥م،وفي أثناء توليه هذا المنصب ودوره الدبلوماسي جاء والي مصر إلى إستانبول لعرض ولائه،مما زاده مكانة عند السلطان وجعله يتولى منصب الصدر الأعظم في الثامن والعشرين من آيلول عام ١٨٤٦م ، وواصل بعدها جهوده المتعلقة بتطبيق الإصلاحات والتنظيمات متأثرا بالنظم الاوربية(٨١) .

قدم مصطفى رشيد باشا بعد أن تولى منصب وزير الخارجية ، وكان بمثابة المعد الأول لشؤون الدولة والحكومة كافة في تلك المدة ، مبادر لإجراء عدد من الإصلاحات التي كان يرى من وجهة نظره أنها ضرورية لتقوية الدولة، وبناء على مبادرة مصطفى رشيد باشا الخاصة بإعداد مشروعات الإصلاح تم إنشاء مجلسين حكوميين عاليين لهذا الشأن(٨٢)،ومن ثم فإن ضغوط الدول التي تريد تطبيق فرمان التنظيمات قد أصبحت حقيقة لا مفر منها، وبعدها تولى منصب الصدر الأعظم بناءً على هذه الضغوط ، وظل بهذه الوظيفة حتى عام ١٨٤٨ م ، و تم إبعاده بعد ذلك ، إلا أنه أعيد مرة أخرى إلى المنصب وواصل حتى عام ١٨٥٢ م، ويبدو أن توليه هذا المنصب وعزله كان لضغوط من قبل دول الغرب من أجل الموافقة على فرمان التنظيمات، ثم عين وزيرا للخارجية عام ١٨٥٣ م ثم استقال في السنة نفسها بسبب عدم منح امتياز قناة السويس،ثم عين صدرا أعظم في عام ١٨٥٦م، ثم تم عزله عام ١٨٥٧ م بسب ضغط السفير الفرنسي، وبعدها بشهرين تم تعيينه مرة أخرى في المنصب نفسه (٨٣).

كان السفراء لهم دور كبير في الإصلاحات الثقافية ومنها – الصحافة – ومصطفى رشيد باشا كان يدفع شهريا (١٥٠) فرنكا لأحد محرري صحيفة (ميساج– Masag) الفرنسية التي أخذت لهجتها تتغير تدريجيا لصالح الدولة العثمانية ، وأخذت لهجة متحيزة تجاه السلطة العثمانية ، وقام بعمل علاقات طيبة بعدد من الصحف لتقديم موجز للمقالات قبل عرضها باربع وعشرين ساعة ، حتى إذا واجهته بعض التناقضات السياسية يقوم بسحب هذه المقالات أو تخفيف لهجتها، فكان مصطفى رشيد باشا يبلغ الباب العالي أولا بأول بما يصدر في الصحف الفرنسية ، مثل (ديبيه ، مونيتر – Dabah،Monitor) (٨٤).

كانت هذه الصحف تعطي انطباعا حسنا عن الدولة العثمانية ، إذ انها كتبت عن دور البريد، والتعليم، والأسطول العثماني ، وعن إقامة الحجر الصحي للدولة العثمانية، فضلا عن إشادة السفير العثماني بأهمية الدور الذي تؤديه الصحف التي يصدرها السيد(بلاك – Mr. Black) (٨٥) ، باللغة الفرنسية في الدولة العثمانية،وكتب مصطفى رشيد قائلا "**وصول هذه الصحف إلى فرنسا ، قد ساعدت على تغيير رأي الفرنسيين في الدولة العثمانية، إلى الأفضل، حتى إن هناك مقالات تناولت إصلاحات السلطان محمود الثاني التي قام بإجرائها في الدولة**" (٨٦).

طبقا لما تقدم فإن مصطفى رشيد باشا الذي كسب تأييداً ودعماً من الإنكليز في المسألة المصرية، ووفق في حلها وقام بإعطائهم الكثير من الوعود بعمل الإصلاحات في الدولة العثمانية كما يريدون، كان يرى أنه ينبغي على الدولة العثمانية نهج سياسة خارجية متوازنة حتى تصبح من الدول القوية، فبذل الجهود كافة لتحقيق ذلك، وكان يرى أن هذا لن يأتي إلا بالأخذ من حضارة الدول الأوروبية من وجهة نظره.

وأما عن أهم الخدمات التي قدمها مصطفى رشيد باشا فيمكن إجمالها فيما يأتي:

*قام مصطفى رشيد باشا بالقضاء على طموحات محمد علي باشا والي مصر، من خلال مساعدة الدول الاوروبية.

*قام بإعلان التنظيمات ، وله دور كبير في نقل مصادر التنظيمات كافة من خلال مرسوم كلخانه ، وتعرف على السلطة بصورة مستقلة، ومعنى ذلك أن منافع الغربيين ومصالحهم وصلت إلى أعلى مستوى لها في ظل التنظيمات.

*نجاح مصطفى رشيد باشا في تنشئة العديد من رجال الدولة الذين تولوا زمام الحكم، وكانت هذه السياسة معتمدة على سياسة إنكلترا ، وأراد أن يقوي الدولة العثمانية إزاء فرنسا وروسيا من خلال الدعم الغربي الإنجليزي [٨٧].

وأما عن التقارير التي كانت ترفع من السفير مصطفى رشيد باشا فقد نشرت خلال المدة (١٨٥٤ –١٨٦٣م) على يد المؤرخ التركي (جاويد بايسون) وقد ناقشت الموضوعات التالية:

*دور مصطفى باشا في انشاء سفارات عثمانية دائمة في الدول الاوروبية في الثلاثينيات من القرن التاسع عشر الميلادي.

*سياسة الباب العالي وعلاقته بالدول الأوروبية (روسيا، إنجلترا، فرنسا، النمسا، بروسيا) بخصوص الصراع العثماني المصري ، ودور مصطفى رشيد باشا إبان مدة الصراع الذي كان يشغل منصب السفير لدى فرنسا وإنجلترا ، ثم أصبح وزيرا للخارجية.

*دوره في السفارة لدى فرنسا وانكلترا، والمحاولات التي بذلت لمواجهة تدخل الدول في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية، وفي عقد الاتفاقية التجارية بين الدولة العثمانية وإنكلترا عام ١٨٣٨ م بجانب بعض المشكلات الأخرى[٨٨].

كان مصطفى رشيد باشا يهدف إلى تأسيس نظام سلطة جديدة تعتمد على ثقافة وتقدم الغرب بدلا من النظام القديم ، ووضع مستقبل بلاده وجميع مقدرات الدولة العثمانية في أيدي الإنجليز ، وأصبح السلطان عبد المجيد الأول مجبرا على قبول أفكار وبنود الإصلاحات المقترحة ، إذ إن الدولة العثمانية أصبحت أداة في يد الإنكليز وجعلوا السلطان يؤمن بضرورة الحصول على مساعدات الأوروبيين، لتخليص الدولة من الوضع المالي السيئ ، وأنه ينبغي عمل إصلاحات اجتماعية على النمط الأوروبي لتحقيق ذلك، والأهم أن وراء زرع هذه الأفكار في ذهن السلطان هو مصطفى رشيد باشا العاشق للإنجليز [٨٩] .

استطاع مصطفى رشيد باشا بتقاريره المرسلة إلى الدولة العثمانية، تمهيد السبل للتنظيمات والتجهيز لها من خلال التقارير التي كتبها، فإن الدولة العثمانية دخلت مرحلة التجديد من خلال توجيهات التطورات في الغرب بصفة عامة.

حياة مصطفى رشيد باشا هي جزء لا يتجزأ من صفحة التنظيمات والتجديدات في تاريخ الدولة العثمانية إزاء التحديث والتغريب ، إذ إنه من المستحيل تناول عصر التنظيمات من دون الحديث عنه، وشهد له معاصروه بأنه أفضل الدبلوماسيين العثمانيين ليس في وطنه فقط وإنما أوروبا بأسرها ، وقد استطاع تطوير فكر القومية العثمانية في الساحة الدبلوماسية، واستطاع أن ينشئ كبار رجال الدولة العثمانية على نمط التحديث والتجديد ، ووضع برنامجه الإصلاحي على التحولات، فعندما كان سفيرا في فرنسا كان مولعا بها وصديقا لها ، وبعد تعيينه على سفارة لندن أعلن ولاءه وانتماءه للإنكليز ، وبهذه الصورة تبنى قيما ونظما للتغريب أكثر، ويعد مصطفى رشيد باشا المؤسس الحقيقي للدبلوماسية العثمانية الحديثة ، ورائدا للتغريب فيها.

يتضح لنا من سيرة مصطفى رشيد باشا بأنه ذوأهمية ومكانة سياسية لدى المسؤولين في الدول العظمى، وكان يستطيع رسم المعالم الرئيسة للسياسة الخارجية ويقرب التوازن بين الدول الأوروبية، وهذا يفسر لنا بأن الطريق الذي بدأه مصطفى رشيد باشا كان يشُكل بداية الاتجاه نحو التغريب للدولة العثمانية.

من السفراء العثمانيين نوري أفندي الذي كان عام ١٨٢٩م ممثلا للدولة العثمانية مع مصطفى رشيد باشا عند توقيع الصلح مع روسيا ، وكان في ذلك الوقت يشغل منصبا رئيسا للإدارة ، ثم أصبح سفيرا للدولة العثمانية لدى لندن عام ١٨٣٥م، وفي منتصف عام ١٨٣٦م خلف مصطفى رشيد باشا في منصب سفير الدولة العثمانية لدى باريس ، ثم عاد مرة أخرى في عام ١٨٣٧ م ليشغل منصب السفير في لندن بدلا من مصطفى رشيد الذي تولى مهام وزير الخارجية ، وبعد عودته إلى الوطن عام ١٨٣٨م شغل منصبي رئيس مجلس الأشغال بالعاصمة ، ووزير المالية ، وشارك في المعاهدة التجارية بين إنكلترا والدولة العثمانية عام ١٨٣٨ م ، وتوفي في عام ١٨٤١ م وهو في طريقه إلى برلين بصفته وزيرا مفوضا [٩٠] .

ابدى السفراء العثمانيون اهتماما بالغا في تقاريرهم عن الأفكار الأوروبية، ولم يكتفوا بملاحظة مظاهر التقدم الأوروبي، بل حاولوا البحث عن أسبابها محاولين في الوقت نفسه أن يجدوا العناصر التي تعيد للدولة العثمانية قوتها السابقة بإصلاح مؤسساتها عن طريق ما تيسر لهم معرفته من الأسباب التي أدت إلى تقدم أوروبا [٩١].

قدم السفراء الأوروبيون في المقابل تقاريرا لبلادهم عن أحوال الدولة العثمانية، والواقع أن الدول الأوروبية كان يهمها معرفة الأوضاع الداخلية للدولة العثمانية، سواء الأوضاع الاقتصادية أم السياسية أم العسكرية ، لأن تلك الدول عقدت العزم على تقسيم تركة الرجل المريض في الوقت المناسب ، ومن أجل ذلك أخذت السفارات الأوروبية تهتم بإرسال تقارير مفصلة إلى حكوماتها عن أوضاع الدولة العثمانية [٩٢].

مما تقدم يبدو انه في الوقت الذي كانت فيه الدولة العثمانية تمر بحالة الضعف ، كانت الدول الاوربية سائرة بخطى التقدم والتطور ، ويتضح لنا أن الدولة العثمانية عندما أرسلت سفراءها إلى الدول الاوروبية ، كانت تطلب منهم بطريقة غير مباشرة ابلاغها عن كل ما يورد في الاجتماعات التي كانت تعقد بين السفراء العثمانيين وبين الاوروبيين ، وبالتالي هؤلاء السفراء يرسلون التقارير سواء إلى الباب العالي أم إلى نظارة الخارجية أولا بأول لاتخاذ الإجراءات المناسبة حول تطبيق قوانين الإصلاح، ويتبين لنا أن الدولة العثمانية استمرت في إرسال سفارات لها لدى دول أوروبا ، واستطاع السفراء النجاح في حل بعض الأمور السياسية العالقة بينها .

الخاتمة

يتضح من هذه الدراسة أن السفراء العثمانيين لمسوا تفوق الغرب في المجالات العلمية والعسكرية والسياسية والاقتصادية ، ورأوا أن الدولة العثمانية لابد أن تدرك هذه الحضارة الغربية، وأن السبيل الوحيد إلى ذلك يكون بالاقتباس من الغرب والأخذ بمنجزاته، وبدأوا المناداة بالإصلاح في الدولة العثمانية ، وجاءت التغيرات السياسية الداخلية والخارجية استجابة لرغبة رجال الدولة وسلاطينها للتطور والتحديث، وحتى تتجاوز الدولة الأزمات التي لحقت بها في المدة الأخيرة ، فلم تكن الإصلاحات وسيلة لتجديد الدولة ، وإنما كانت أيضا سلاحا دبلوماسيا عند الغرب ، وبالمقابل كان الشعور والإحساس الدائم لدى الدول الأوروبية أن الدولة العثمانية لن تتغير إلا من خلال قبولها لأنماط وأشكال الحياة الأوروبية وحصولها على الامتيازات التي تدعم ذلك التغيير ، وبالفعل بدأ رجال الدولة العثمانية من خلال سفاراتها بالأخذ عن الغرب .

أكد السفراء على ضرورة الاستعانة بعلوم الغرب من خلال تقاريرهم التي دونوا فيها مشاهداتهم وانطباعاتهم، ووادراكهم لمدى التطور الحاصل في الميادين السياسية والعسكرية، وأبدوا إعجابهم بمعظم ما شاهدوه في فرنسا ، بل وتعدى ذلك الإعجاب إلى التصريح بأن الدولة لن تتقدم إلا باقتباس علوم الغرب ونظمه والأخذ بمنجزاته .

أسهمت تقارير السفراء في تقديم صورة واقعية عن عواصم أوروبا ومدنها وطبيعتها، وقد عكست هذه التقارير جانبا من الجوانب المهمة لتقارير السفارات وكشفت حجم دورها ، فصار لدى العثمانيين فكرة شاملة لا تخلو من التفاصيل عن المجتمع الأوروبي بسكانه وحكوماته ، وعن حياته العلمية وعمرانه وقوته العسكرية ، فضلا عن أفكار الأوروبيين التي تتحكم في تقدمهم وتعكس حضارتهم المعاصرة في ذلك الوقت ، وبالتالي أصبحت هذه التقارير مصدرا للمعلومات عن الدول الأوروبية، وبذلك زاد الاهتمام بحضارة الغرب و بتقدم الغرب وتطوره ، وتم التعجيل بمساعي وجهود التغريب .

هكذا كانت الأحداث والأوضاع السياسية والحضارية تُنقل إلى الدولة العثمانية، عن طريق هذه التقارير التي كان لها تأثير في المجتمع العثماني تدريجيا ، وفي نفوس السلاطين العثمانيين خاصة، فكان للسفراء العثمانيين دور مهم في تطبيق الإصلاحات والتنظيمات على النسق الاوروبي.

بالفعل نجحت تلك الجهود في القرنين الثامن والتاسع عشر الميلادي عندما بدأوا بتطبيق تلك الإصلاحات في الدولة لتحديثها ، التي كانت بصفة رسمية في إصدار فرمان كلخانه عام ١٨٣٩م في عهد السلطان عبد المجيد الاول ، ولكن فرمان التنظيمات الخيرية مهد السبيل لإضعاف الدولة العثمانية .

فرض هذا التغريب على الدولة العثمانية عن طريق الإصلاحات والتنظيمات التي مارستها الدول الأوروبية من خلال التدخل بشكل مستمر في شؤون الدولة العثمانية من الداخل والخارج، مما أعاق تنفيذ مشروع الإصلاح والتجديد في الدولة بمفهوم صحيح نابع من صميم مؤسسات الدولة العثمانية، فالاتفاقات التي كانت بين الدولة العثمانية والدول الأوروبية، جعلتها عرضة للتدخل الخارجي بصور متكررة، ولقد أعطت هذه الاتفاقات قوة وامتيازات واسعة في الدول العثمانية.

واخيراً إن البداية الحقيقية لدخول التغريب في الدولة العثمانية هو عندما تساهل السلاطين العثمانيون في دخول ثقافات وعادات وتقاليد الغرب من خلال السفراء ، وإقامتهم لمدد طويلة ومتتالية في الغرب ، ومن ثم عودتهم إلى البلاد وهم يحملون أفكارا تدعو إلى ثقافات وفكر الغرب.

المصادر والهوامش

١-ابن منظور: لسان العرب، ٦٣٨/١- ٦٣٩.

2- OXFORD UNIVERSITY : OXFORD Advanced Learner's Dictionary, P1355.

٣-محمد فلاح الزعبي، الاستعمار الثقافي:صناعة العقول وإعادة صياغة المواطن العربي؛ www.h-alali.net/z2_print.php

٤-خالد محمد القضاة واخرون،لمحات من حاضر العالم الإسلامي،د.ط،دار قنديل للنشر والتوزيع،عمان، ٢٠٠٧،ص١٣٦.

٥-عبد اللطيف محمد الحميد، سقوط الدولة العثمانية (دراسة تاريخية في العوامل ولأسباب)،ط١،العبيكان،الرياض،١٩٩٦،ص٢٤.

٦-هايل عبد المولى طشطوش، مقدمة في العلاقات الدولية ، د.ط، ٢٠١٠،ص١١.

٧-الدبلوماسية:-هي نظم ووسائل الاتصال بين الدول وهي وسيلة لأجراء المفاوضات بين الأمم التي تستعملها في تيسير علاقاتها مع الأطراف الأخرى وتنفيذ سياستها الخارجية ، وكلمة دبلوماسية مأخوذة من الكلمة اللاتينية "Diploma " وتعني الوثيقة الرسمية وأصل الفعل اليوناني "وثيقة مطوية " ففي أيام الإمبراطورية الرومانية كانت جوازات السفر، والمرور في طرق الإمبراطورية تدمغ على قطع معدنية مزدوجة ثم تطوى هذه القطع على شكل معين، ويطلق عليها كلمة "ديبلوماس"التي صارت يطلق على الأوراق الرسمية، ولاسيَّما الوثائق التي تمنح بمقتضاها امتيازات معينة. للمزيد ينظر: الموسوعة العربية الميسرة، دار النهضة للطبع والنشر، لبنان،١٩٨٧،ص٧٨٣.

٨-عمر عبد العزيز عمر،تاريخ اوروبا الحديث والمعاصر(١٨١٥-١٩١٩م)، دار المعرفة الجامعة، الاسكندرية،٢٠٠٠،ص١٢-١٣؛

J.Marriont.The Eastern Question:A Historical Study in European Di-plomacy.45.

٩-هايل عبد المولى طشطوش، المصدر السابق ، ص٣٠.

١٠-عبد الرحمن محمد عبد الرحمن، الدبلوماسية الاسلامية واثرها في الدعوة الى الله، ط١، دار اليقين، المنصورة، مصر، ٢٠٠٦، ص ٢٨٣.

١١-عمرعبد العزيزعمر ،تاريخ اوروبا الحديث والمعاصر،المصدر السابق،ص١٢-١٣.

١٢-هي كلمة يونانية الاصل مشتقة من كلمة (Diploma) دبلوما الاغريقية وهي تعني الوثيقة الرسمية الصادرة من الرؤساء السياسين ، فالدبلوماسية هي عملية التمثيل والتفاوض التي تجري بين الدول التي تتناول علاقاتها ومعاملاتها ومصالحها ، ينظر: عبد الرحمن محمد عبد الحمن، ، المصدر السابق ص٢٥.

١٣-محمد ازهر السماك، الجغرافية السياسية ، اسس وتطبيقات، جامعة الموصل، ١٩٨٨، ص٧٠-٧١.

١٤-هايل عبد المولى طشطوش، المصدر السابق، ص٣٠.

15- Turkiye Diyanet Vakfi ,Islam Ansiklopedisi, cild , 11 , Istanbul, 1995,p. 9 .

١٦-عاصمة امبراطورية النمسا ، وهي عاصمة الامبراطورية الالمانية حتى سقوطها عام ١٨٠٩م ، وقد حاصرها العثمانيون مرتين، ويعدها البعض اجمل مدينة في العالم بعد باريس، ينظر: محمد فريد المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، د.ط ،دار النفائس، بيروت،١٩٨٣،ص٢١٦.

١٧-المعروف بجلبي والتي تعني العثمانية " الامير" ولد عام ١٣٧٩م، وعين واليا على منطقة الروملي، وهو ابن السلطان بايزيد الاول، وقضى سنوات حكمه في اعادة بناء الدولة من جديد وتوطيد اركانها، وحقق انجازات مهمة على مستوى توسع الدولة في البلقان والاناضول، وقام بأعمال عمرانية متميزة كالجامع الاخضر بمدينة بورصة، وقد حفظ له التاريخ بأنه حاكم مسلم وموحد، وتوفي عام ١٤٢١م، ينظر: ابراهيم بك حليم، التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، ص ص ٧٩-٨١.

١٨-اسمها بالرومية(أدريانا بوليس) نسبة للإمبراطور أديان الرومي الذي أجرى فيها عدة تحسينات اوجبت إطلاق اسمه عليها، وكانت عاصمة الدولة العثمانية عام ١٣٦١م، ينظر: فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص١٢٩.

19- Turkiye Diyanet Valkefi:Cild 11,op,cit,s,9.

٢٠- حكم بريطانيا في احرج فتراتها، وقد كان جادا في عمله وفخورا بوصفه حاكما لبريطانيا،وحاول تحجيم الارستقراطيين الذين كان لهم نفوذ تحت إدارة ويليام الكبير فاختار لنفسه وزراء، وكان له دور اكبر في حكم بريطانيا اكثر من جورج الاول والثاني، ينظر: الموسوعة العربية العالمية،ج٨،ط١،مؤسسة اعمال المؤسسة للنشر والتوزيع، ١٩٩٢م، ص٥٨٨.

٢١- جون باتريك كينزوس، القرون العثمانية قيام وسقوط الامبراطورية، ترجمة : ناهد ابراهيم دسوقي، د.ط،منشأة المعارف، الاسكندرية، د.ت، ص٧٤٧.

٢٢- عبد الوهاب الكيالي وأخرون، موسوعة السياسة، ج١،ط٣، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٠م، ص٥٢٧.

٢٣- هو لقب لرئيس الوزراء والامراء جميعا، وهو صاحب الصلاحية المطلقة في إدارة شؤون الدولة ، وهو نائب السلطان وله الحق في حمل الخاتم السلطاني ويوقع به على الفرمانات السلطانية ؛ ينظر: مصطفى بركات، الالقاب والوظائف العثمانية ، د.ط، دار غريب، القاهرة،٢٠٠٠م ، ص٣٢٦.

٢٤- افندي :كلمة تطلقها الدولة العثمانية على ارباب العلم ، وكان الريس افندي قد تتدرج في المناصب حتى اصبح مرادفا لمنصب وزير الخارجية العثمانية، ومن اهم اختصاصته إصدار براءات السلطة التي تعطي لحكام الولايات، ويتولى حفظ القوانين، ونائبا عن الصدر الاعظم، وتطور اختصاصاته حتى اصبح هو الموظف المختص بشؤون السياسة الخارجية للدولة؛ ينظر: مصطفى بركات، المصدر السابق، ص٣٧٦.

٢٥- عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها، ج١،د.ط،مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٠،ص٣٧٣.

26- Turkiye Diyanet Valkefi:Cild 11,op,cit,s,14.

27- Cem Alptekin: Elgheenth-Century French Influences in Devbpmen, of Liberal and secular Tought in the ottoman sttoman state (1718-1876),Universiby,October,1980,Uniirersity Microfilms Internation,p.66.

28- Stanford.J.Show: Between old and new,the Ottoman empire under saltan selim 111 (1789-1807).Cambridge,Mass,Harvard press,1971,p,184.

29- Turkiye Diyanet Vakfi : cild , 11 , op , cit , s , 12 .

٣٠- أنيل الكسندروفنادولينا، الامبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية في ثلاثينيات واربعينيات القرن التاسع عشر ،ترجمة :أنور محمد ابراهيم،د.ط،مطبعة الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية،١٩٩٩، ص٨٥.

٣١- ماجدة مخلوف، تحولات الفكر والسياسة في التاريخ العثماني، ط٢، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص١٨٩.

32- Turkiye Diyanet Vakfi : cild , 11 , op , cit , s , 14 .

٣٣- هو مصطلح فرنسي مشتق من كلمة (burgein) ، وقد كانت البرجوازية طبقة رسمية في المجتمع الفرنسي ، وتعني طبقة التجار ؛ ينظر: عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة ، ص٢١٢.

٣٤- (Ideoligy)من اعقد واغنى المفاهيم الاجتماعية، وهي منظومة الافكار العامة السائدة في المجتمع ؛ ينظر: برهان غليون ، ومحمد سليم العوا، النظام السياسي في الاسلام ،ط١،دار الفكر المعاصر، بيروت، ٢٠٠٤م، ص٢٩٩.

٣٥- أنيل الكسندرو فنادولينا، الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية،المصدر السابق، ص١٥٤.

36- Turkiye Diyanet Vakfi : cild , 11 , op , cit , s , 14 .

٣٧- نادية مصطفى، نظرية العلاقات الدولية بين المنظور الواقعي والدعوة إلى منظور جديد، مجلة السياسة الدولية، العدد ٨٢، تشرين الاول ١٩٨٥.

٣٨- خليل إينالجيك : تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ط١،دار المدار الاسلامي،بيروت، ٢٠٠٢، ، ص ٤٢.

٣٩- خليل إينالجيك،تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار ،المصدر نفسه، ص ٤٢.

٤٠- قيس جواد العزاوي، الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط، ط١،الدار العربية للعلوم،بيروت، ١٩٩٤ ، ص ٦٧.

٤١- داماد : لفظ فارسي استعمل في التركية ومعناه الصهر ، وكان هذا اللفظ يستعمل مضافا إلى الاسم بمعنى التشريف لمن كان متزوجا من بنت السلطان أو من أخته ؛ انظر : فريد بك المحامي : تاريخ الدولة العلية العثمانية،المصدر السابق،ص٣١٢.

٤٢- إبراهيم باشا : تولى الصدارة في عهد السلطان أحمد الثالث، وهو أول مسؤول عثماني يعترف بأهمية التعرف على أوروبا ، لذا فإنه قام باتصالات منظمة بالسفراء الأوروبيين المقيمين بالآستانة ، وأرسل السفراء العثمانيين إلى العواصم الأوروبية ، خاصة باريس للمرة الأولى، وكانت مهمة هؤلاء السفراء لا تقتصر على توقيع الاتفاقيات التجارية والدبلوماسية الخاصة بالمعاهدات التي سبق توقيعها ، بل أنه طلب منهم تزويد الدولة بمعلومات عن الدبلوماسية الأوروبية وقوة أوروبا العسكرية ؛ انظر: علي محمد الصلابي : الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط ، ص ٢١٢.

43- Turkiye Diyanet Vakfi : cild , 5 , op,cit, s, 148.

44- Bernard Lewis : Modern Turkiye , Turk Tarh Kurumu, Ankara,1970 , p . 47 .

45- Michael Grean Halgh: French Military Reconnaissance in ottoman Empire During the Eighteenth and Nineteen Centuries as a Source for our Knowledge of ancient Monuments Authoress, Vol g6 2002, p. 4 .

٤٦- إبراهيم متفرقه (١٦٧٤- ٧٤٥ م) : ولد في كلوج (Gluj) من أراضي ترانسيفانيا ، ووقع أسيرا في إحدى المعارك العثمانية ، وبعدها دخل الإسلام وعمل في خدمة الحكومة العثمانية ثم تحول إلى خدمة السلطان ،وكانت أولى مؤلفاته (الرسالة الإسلامية وأصول الحكم) وبعدها تولى بعد المناصب الدبلوماسية، وتعلم لغات أوروبية عدة ومنها الفرنسية ، وعمل ناشرا ومصنفا ومترجما حتى وفاته ؛ ينظر: شمس الدين سامي: قاموس الأعلام ، ج ٣ ، ص ١٠٢٢.

٤٧- خالد زيادة،المسلمون والحداثة الأوروبية ، مكتبة الأسرة، ط ١ ، القاهرة ، ٢٠١٠ م ، ص ٦.

٤٨- عبد الكريم باشا ١٨٨٣ م : هو السردار الأكرم عبد الكريم نادر باشا ، أرسله السلطان محمود الثاني إلى النمسا ١٢٥١ ه/ ١٨٣٥ م لتعلم الفنون العسكرية ، وعاد بعد إعلان التنظيمات بسنة واحدة ، وأصبح موضع اهتمام رجال التنظيمات بسبب ما ناله من تعليم في أوروبا ، وأصبح في خلال فترة قصير ة مديرا للمدارس العسكرية، ثم أصبح مشيرا للجيش السلطاني الموجود في بغداد ، ثم أصبح وزيرا للحربية ، ورئيسا للبحرية ، وأثناء صدارة عوني باشا ، تولى عبد الكريم باشا منصب وزير الحربية تمهيدا لتنفيذ مؤامرة خلع السلطان عبد العزيز ؛ ينظر : ماجدة مخلوف : تحولات الفكر والسياسة في التاريخ العثماني، المصدر السابق ، ص ١٣٤.

٤٩- من أهم المعاهدات في التاريخ العثماني ، هي معاهدة تمت بين الدولة العثمانية وروسيا، فقدت الدولة العثمانية حمايتها على البحر الأسود وانفرادها بها،واعترفت الدولة العثمانية باستقلال شبه جزيرة القرم

، وبذلك حددت الطريق لعدم التدخل الروسي ، في شؤون الدولة العثمانية ، فقامت بالزحف على الدولة العثمانية وأنشأت بما عرف برابطة الشعوب السلافية ، ومنح السلطان روسيا حق إقامة كنيسة أرثوذكسية في إستانبول ، وحق حماية الرعايا الأرثوذكس في الدول العثمانية ، ووافق السلطان أيضا على دفع غرامة حربية مقدارها ٧,٥ مليون أقجة خلال ثلاث سنوات رغم ميزانيته المرهقة ، وبذلك أصبح لروسيا الحق في التدخل في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية ؛ ينظر : عبد العزيز الشناوي : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، ج ٣، ص ١٢١٥.

50- Omer Faruk Yilmaz : Belgelerle Osmanli Torili, Osmanli Yayinevi,Istanbul,1994, p. 13.

51- Bernard Lewis:Modern Turkiye,op,ct,p.58.

52- Turkiye Diyanet Vakfi : cild , 16 , op , cit , s , 622 .

٥٣-قيس جواد العزاوي : الدولة العثمانية ، قراءة جديدة لعوامل الانحطاط، المصدر السابق، ص ٤٧.

٥٤-قيس جواد العزاوي : المصدر نفسه ، ص ٤٨.

55- Omer Faruk Yilmaz : Belgelerle Osmanli Torili, op, cit , s, 13.

٥٦-خالد زيادة : تطور النظرة الإسلامية إلى أوروبا،المصدر السابق ، ص ٨٦.

٥٧-موره السيد علي أفندي : سفارنامه سي، تاريخ عثماني أنجمني، مجموعة سندن مستخر جدر، إستانبول، . ١٩١١ م ، ص ١٧-٢٢.

58- Mehmet Dogan : Batililasma Ihaneti , Pinar Matboacilik,1986, p, 30 .

٥٩-هو محمد سعيد غالب أفندي ابن حسين أفندي القبرصي ، أحد القضاة ، ومستشار السلطان محمود الثاني خلال الفترة الأولى من حكمه، ولد بإستانبول ، واسمه في الأصل محمد سعيد ، ولقد اشتهر باسم غالب أفندي الصغير، إلا أنه لم يقم بالتحصيل المدرسي بشكل منتظم ، فقام بتربية نفسه بنفسه، مثل أبيه ، ولقد كان والده أحد الرجال المسؤولين عن حل الأمور أو تعقيدها في السلطنة ، إذ إن كلامه نافذ في التوجيه والعزل ، ورأيه أساسي في الحكم وتم إرساله إلى باريس لعقد اتفاقية سلام مع الدولة العثمانية وفرنسا ، وتقلد منصب الصدر الأعظم عند عودته إلى البلاد ، ومنصب رئيس الكتاب، وتوفي في عام ١٨٢٤ م ، ولقد عمل بإخلاص شديد، وكان متميزا ،وعلى درجة عالية من الثقافة ؛ انظر : عبد الرحمن شرف ، أحاديث تاريخية، مطبعة سي، ١٨٩١ ، ص ٢٧.

60- Nevin Yazici : Osmanlilik Fikri Ve Genc Osmanlilar Cemtyet ,Istanbul,1959, p. 34

61- Turkiye Diyanet Vakfi : cild , 5 , s, 148.

62- Turkiye Diyanet Vakf : cild , 31 , op , cit , s , 29.

٦٣-النشانجي : نشأت وظيفة النشانجي في عهد السلطان محمد الفاتح بعد فتح القسطنطينية ، وكلمة نشانجي من الكلمة الفارسية نشأت بمعنى شارة ، وكان للنشانجي بعض السلطة على رئيس الكتاب وعلى الدفترخانه التي كانت تحفظ فيها كل الوسائل المتصلة بالإقطاعات ، وكانت وظيفته الأساسية هي رسم الطغراء على الوثائق الرسمية بمختلف أنواعها ، وأعتبر النشانجي في بعض الأحيان مفتيا للقوانين ، ولكنه لم يستطع القيام بأمر التصحيح إلا حين يتلقى أمرا خاصا يسمى تصحيح فرماني عليه طغراء الصدر الأعظم.ينظر:مصطفى بركات،الألقاب والوظائف العثمانية، المصدر السابق ؛ ناهد إبراهيم دسوقي ، بدايات الإصلاح في الدولة العثمانية واثر الغرب فيه(١٧٨٩-١٨٠٧م)،د.ط،منشأة المعارف، الاسكندرية،٢٠٠٦م، ص ١٣.

64- Turkiye Diyanet Vakfi : cild , 15 , op, cit, s , 325.

٦٥-قيس جواد العزاوي : الدولة العثمانية ، قراءة جديدة لعوامل الانحطاط،المصدر السابق ، ص ٤٦.

٦٦-عين سفيرا للدولة العثمانية في باريس عام ١٧٩٧م الى عام ١٨٠٢م، ثم شغل منصب الصدر الاعظم من عام ١٨٠٧ الى عام ١٨٠٨م، وعمل بوظيفة (مهردار) حامل الاختام وبعد عزله عن الصدر الاعظم عاش حياته منزويا؛ ينظر: ناهد ابراهيم دسوقي، بدايات الاصلاح في الدولة العثمانية، المصدر السابق، ص١٢٢.

٦٧-عبد الرحمن شرف، أحاديث تاريخية، المصدر السابق ، ص٧٥.

68- Yilmaz Oztuna : Osmanl Devleti Tarihi ,Birici,Faisal Finons Kurumu Yayini,Istanbul,1980, p . 526.

٦٩-أنيل الكسندرو فنادولينا، الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية،المصدر السابق، ص٥٣.

70- Turkiye Diyanet Vakfi : cild , 15 , op, cit, s , 348.

٧١-أنينل ألكسندروفنادولينا، الإمبراطورية العثمانية وعلاقتها الدولية، المصدر السابق،ص٥٥.

72- Mehmet Dogan : Batililasma Ihaneti ,Pinar Matboacilik,1980, p. 31 .

٧٣-مملكة مستقلة بألمانيا ، وهي داخلة ضمن الامبراطورية الالمانية التي تشكلت عام ١٨٧١م عقب تغلب روسيا على فرنسا مع بقاء استقلالها وحكوماتها وملوكها كما كانت ، وهي جزء من جمهورية المانيا الاتحادية؛ ينظر: محمد فريد المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، المصدر السابق، ص١٤١.

74- Turkiye Diyanet Vakfi : cild , 11 , op , cit , s , 75 .

75- Turkiye Diyanet Vakf : cild , 31 , op , cit , s , 29.

٧٦-زكريا سليمان بيومي ، العرب بين القومية والإسلام ، قراءة إسلامية في التاريخ الحديث والمعاصر ، ط ١، دار القاهرة ، ٢٠٠٢ م ، ص ١٨٩.

77- Turkiye Diyanet Vakfi , cild , 3 , op , cild , s , 375.

٧٨-معاهدة بلطة ليمان : تمت هذه المعاهدة في عام ١٨٣٩ م ، وهي معاهدة تجارية وقعت بين الدولة العثمانية وإنجلترا ، حصلت إنجلترا بموجبها على امتيازات تجارية مقابل مساعدات عسكرية تقدمها لإستانبول للضغط على واليها المتمرد في مصر محمد علي باشا الذي أتبع سياسة اقتصادية حرمت إنجلترا من التمتع بالامتيازات التي منحت إياها من قبل إستانبول ، لكن الوالي المصري محمد علي لم يتمكن من الاستمرار وأضطر لفتح أبواب بلاده أمام التجارة الأوروبية بموجب معاهدة لندن عام ١٨٤٠ م ؛ ينظر : أكمل الدين أوغلي ، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، ج ١ ، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ، إستانبول ، ١٩٩٩ م ، ص ص ١٠١-١٠٢.

79- Ibid , Cild , 31 , s, 349.

٨٠-أنيل الكسندرو فنادولينا، المصدر السابق، ص١٢٨.

81- Omer Faruk Yilmaz: Belgelerle Osmanli Tarihi , cild 3, op , cit , s, 337.

٨٢-أنينل ألكسندروفنادولينا ، المصدر السابق،ص٩٢.

83- Mehmet Dogan : Batililasma Ihaneti , op, cit, s, 37.

٨٤-أنينل ألكسندروفنادولينا ، المصدر السابق ، ص ٧١.

٨٥-ولد ألكسندر بلاك Blacqu عام ١٧٩٧ م بباريس ، وسافر إلى إزمير في فترة الدعوة، لإعادة النظام البابك (١٨١٥- ١٨٣٠ م) ، أصدر صحيفتي – " Snyrnell Spectateus Oriertal – Courrier de " بناء على اقتراح من السلطان العثماني في إستانبول ، وتوفي عام ١٢٥٣ ه/ ١٨٣٧ م ؛ ينظر: أنينل ألكسندروفنادولينا المصدر السابق ، ص٧٢.

86- Turkiye Diyanet Vakfi , cild , 3 , op , cild , s , 71.

87- Mehmet Dagan : Batililasma Ihaneti , op, cit, s, 19.

٨٨- أنينل ألكسندرو فنادولينا ، المصدر السابق، ص٧.

89- Omer Faruk Yilmz : Belgelerle Osmanli Tarihi , op , cit , s , 332 .

٩٠- أنينل ألكسندرو فنادولينا ، المصدر السابق ، ص ٥٧ .

٩١- خالد زيادة:المسلمون والحداثة الأوروبية الاوروبية ، المصدر السابق، ص ١١٧.

٩٢- حسان علي حلاق:موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية (١٨٩٧- ١٩٠٩م)،ط٢،الدار الجامعة، بيروت،١٩٨٠ م ، ص ٢٨٤.